بسم الله الرحمن الرحيم

الصين والإسلام

نشأة الهويات الصينية المسلمة

تأليف

Chiara Olivieri

ترجمة

د. ماجد بن حسن البدر

أستاذ مساعد بقسم اللغات الحديثة والترجمة – كلية اللغات والترجمة

جامعة الملك سعود

دار جامعة الملك سعود للنشر
KING SAUD UNIVERSITY PRESS

ص.ب ٦٨٩٥٣ - الرياض ١١٥٣٧ المملكة العربية السعودية

ح) دار جامعة الملك سعود للنشر، ١٤٤٣هـ (٢٠٢١م)

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

أوليفيري ، تشيارا

الصين والإسلام : نشأة الهويات الصينية المسلمة / تشيارا أوليفيري؛ ماجد بن حسن البدر- الرياض، ١٤٤٣هـ.

٨٤ ص؛ ١٧سم × ٢٤ سم

ردمك: ٤-٩٩١-٥٠٧-٦٠٣-٩٧٨

١- المسلمون في الصين ٢- الإسلام - تاريخ - الصين

أ. البدر، ماجد بن حسن (مترجم) ب. العنوان

ديوي ٩١٥١, ٢١٠ ١٤٤٢/١١٣٢٩

رقم الإيداع: ١٤٤٢/١١٣٢٩

ردمك: ٤-٩٩١-٥٠٧-٦٠٣-٩٧٨

هذه ترجمة عربية محكمة صادرة عن مركز الترجمة بالجامعة لكتاب:

China y el Islam Creación De Identidades Sinomusulmanas.
By: Chiara Olivieri.
© Editorial Comares ,S.L, 2016.
وافق المجلس العلمي على نشر هذا الكتاب في اجتماعه التاسع عشر للعام الدراسي ١٤٤٢هـ، المعقود بتاريخ ١١/ ١٠/ ١٤٤٢هـ، الموافق ٢٣/ ٥/ ٢٠٢١م.

جميع حقوق النشر محفوظة. لا يسمح بإعادة نشر أي جزء من الكتاب بأي شكل وبأي وسيلة سواء كانت إلكترونية أو آلية بما في ذلك التصوير والتسجيل أو الإدخال في أي نظام حفظ معلومات أو استعادتها بدون الحصول على موافقة كتابية من دار جامعة الملك سعود للنشر.

دار جامعة الملك سعود للنشر
KING SAUD UNIVERSITY PRESS

مقدمة المترجم

تذكر السجلات التاريخية الصينية أن الإسلام دخل إلى أراضيها في منتصف القرن السابع الميلادي (٦٥١م)، حينما أرسل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه مبعوثه إلى مدينة تشانغآن، عاصمة الإمبراطورية الصينية في ذلك الحين لنشر الإسلام. وكذلك وصل المسلمون إلى الصين عن طريق البر والبحر بحثاً عن الرزق بتجارتهم من خلال طريق الحرير. فأخذ الإسلام ينتشر رويداً رويداً في أراضي الإمبراطورية الصينية الشاسعة، وبدأت شعوبها المختلفة في الدخول في الدين الإسلامي. فأسسوا مجتمعات إسلامية وبنوا المساجد وافتتحوا المدارس وترجموا الكتب وانكبوا على تعليم العلوم الشرعية وتعلُّمِها.

يقدر اليوم عدد المواطنين الصينيين- وفقاً للدراسات التي ذكرتها المؤلفة- الذين يدينون بالإسلام بأكثر من عشرين مليون نسمة ينقسمون لعدة مجتمعات عرقية؛ إلَّا أن المؤلفة تناولت دراسة قضية أكبر مجتمعين مسلمين في الصين، وهما مجتمع "الخوي" ومجتمع "الإيغور". فعلى مدى عقود طويلة سعت الحكومات الصينية المتعاقبة إلى القيام بعمليات طمس لهوية هذين المجتمعين، سواء أكانت الهوية العرقية أم الإسلامية، حيث تقوم الحكومة بالتدخل في أنماط حياتهم المجتمعية والدينية بهدف تطبيق إيديولوجيات عدة لصياغة مفهوم الأمة الصينية. فقد مرت العلاقات بين الحكومة المركزية الصينية والأقليات العرقية المتنوعة بسلسلة من المتغيرات. فاتخذت الحكومة الصينية العديد من الإجراءات بعد الثورة الشيوعية تمثلت في قمع الأقليات الصينية المسلمة، بل أصبحت تستخدم الواحدة ضد الأخرى. لم تر الصين انفتاحاً ثقافياً وتدريجياً إلا بعد وفاة الرئيس ماو، حيث شهد الإسلام نهضة تمثلت في إعادة افتتاح المساجد.

تُعرِّف الصين نفسها على أنها دولة متعددة القوميات ذات مجموعة عرقية وحيدة مهيمنة، وهي عرقية الخان، إلى جانب عدة أقليات أخرى. فمن ناحيةٍ نجد أن الصين تتبع النموذج السوفيتي القديم من حيث تعاملها مع الأقليات القومية، فتكفل للمجتمعات العرقية قليلاً من الاستقلالية، ومن ناحية أخرى تتبع النموذج الأوروبي فتفرض على كافة الأعراق والمناطق أن تتبنى اللغة الموحدة وأن تتخلى عن اللغات التقليدية.

يُعَدّ شعب "الخوي" ثالث شعب من بين القوميات الأقلية الصينية، وهو أكبر مجموعة مسلمة من حيث تعداد أفرادها. ويحكى أن أصول هذا الشعب تعود إلى العرب والفرس الذين وصلوا إلى الإمبراطورية الصينية في القرنين السابع والثامن الميلاديين. سمح الانصهار الثقافي بشكل مرحلي وتدريجي لهذا العرق بأن ينشئ من جديد ويعيد تكوين ثقافته وهويته العرقية والوطنية. تمثل قومية "الإيغور" خامس قومية في الصين، وهي ثاني أكبر مجتمع مسلم صيني، ويعود أصل هذا العرق لبدو "دينغلنغ" -وذكر في السجلات الصينية القديمة أن هذا الشعب كان يسكن في وسط وشمال غرب آسيا، فسكن سيبيريا وشمال الصين بين عام ١٥٠٠-١٠٠٠ قبل الميلاد- اعتنق شعب الدينغلينغ الإسلام مطلع القرن الحادي عشر الميلادي. ترى الحكومة المركزية أن الإسلام في مجتمع "الإيغور" يمثل خطراً وعنصر صراع بسبب انضمام هذا العرق للصين مؤخراً بلغة وتقاليد مختلفة مما جعلها تحاربه.

يُصور عرق "الخان" الأقليات المسلمة، ومنها شعب "الإيغور" على أنها أقلية فلكلورية وجذابة وبدائية بهدف التقليل من شأنها والسيطرة عليها وصبغها بطابع صبغة "الخان". وبهذا نجحت الحكومة الصينية- وفقاً للدراسات الأوروبية- بخلق آخر معرفي مختلف عنها لا يشاركها الخصال البشرية والتحضر.

يتطرق الكتاب للأهداف الأساسية للمثقفين الصينين الأوائل التي عملوا على تحقيقها من أجل دمج الإسلام بعاداتهم وتقاليدهم الصينية وليكون جزءًا لا يتجزأُ من المكوِّن الثقافي الصيني. حيث طبقت المؤلفة على واقع الأقليات الصينية المسلمة النظريات الغربية المتعلقة بالاستقلال لرسم بانوراما واضحة ومفصَّلة عن العلاقات المختلفة بين حكومة الصين المركزية وبين هويات الأقليات المسلمة الصينية. وقد عرِّفت الانتماء العرقي على أنه ذلك المجتمع المكوَّن تاريخياً من أفراد يتشاركون

اللغة ويتقاسمون الموقع الجغرافي والحياة الاقتصادية. عرِّفت الهوية على أنها هي السمات التي تنتمي للفرد والصفات المشتركة بين أفراد المجتمع.

يتميز هذا الكتاب بالترتيب والتنسيق الموضوعي لمفردات دراسته. فقد بدأت الكاتبة بعرض مقدمة موجزة عن آلية الدراسة التي ستقوم بها للوصول لاحقاً إلى واقع هويات الأقليات الصينية المسلمة ودراسة وضعها التاريخي والعرقي والإثني والجغرافي وعلاقة هذه الأقليات السياسية وتأثيرها في الحكومة الصينية المركزية. كما تناولت الكاتبة بالتحليل الصراعات ذات الطابع الديني وأسسها النظرية وآثارها العلمية والاجتماعية.

يتكون هذا الكتاب من ستة فصول متوازية في عدد صفحاتها. فالفصل الأول هو عبارة عن مدخل استعرضت فيه الكاتبة بعض الدراسات التي اهتمت بالاستشراق، والتي تبين ماذا تعني معرفة أوروبا عن الصين وعن الشرق العاجز عن تحضره بمفرده وبعيداً عن الخضوع للغرب. وتطرقت فيه كذلك إلى النظرية المعرفية الأوروبية الشمولية، كما ناقشت الكاتبة مفهوم استقلال الدول كنقد للنظام العالمي الحديث والتنموي وكنقد لأنماط المركزية الأوروبية للمعرفة المبنية على الاستعمار.

تناول الفصل الثاني الإسلام في الصين، مبتدئاً بالعلاقات التجارية التي كانت تربط الصين بالحضارات الأخرى. كانت هنالك اتصالات بين الإمبراطورية الصينية وجزيرة العرب في العصر الجاهلي، وقد بلغت أوجها بعد الإسلام نتيجة للازدهار التجاري. انتشر الإسلام في الصين بعد القرن السابع الميلادي بعد وفاة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم حيث بدأ المسلمون في تلك الفترة بإرسال الوفود لنشر الإسلام. وعلى إثر ذلك استوطن العرب والمسلمون الأراضي الصينية وانخرطوا في مجتمعاتها واندمجوا ثقافياً وبشكل تدريجي بالإرث الصيني. فقام الأدباء الصينيون المثقفون بترجمة الكتب الإسلامية العربية والفارسية للغة الصينية ليضفوا شرعية على النهج الإسلامي آنذاك ليكون جزءًا لا يتجزأ من ثقافتهم الصينية. امتدح الفكر "الكونفوشيوسي" طبقة الحكماء، فاغتنم المثقفون المسلمون الصينيون الفرصة تماشياً مع خلفيتهم الثقافية اعتبروا النبي محمد صلى الله عليه وسلم من طبقة الحكماء لكونه حكيم الأمة ومعلمها. وبهذا وازن المثقفون المسلمون الصينيون وقاربوا بين إرثهم الصيني- الكونفوشيوسي- وبين عقيدتهم الإسلامية، فاستطاعوا بذلك أن يثبتوا واقعهم المميز والمرموق: فهم صينيون أصليون وهم مسلمون حقيقيون في آنٍ واحد.

بيّن الفصل الثالث الهوية الوطنية والإثنية للمسلمين الصينيين ومواطن استيطانهم وتمركزهم في جمهورية الصين الشعبية. فبين أن شعب "الخوي" ينحدر من نسل التجار العرب والفرس الذين وصلوا إلى الإمبراطورية الصينية في القرن السابع والثامن الميلادي، بينما يعود أصل شعب "الإيغور" لبدو "دينغلينغ" الرُّحل.

ناقش الفصل الرابع النماذج والعوامل والسياسات والصراعات التاريخية والمعاصرة التي أثرت في علاقة الحكومة المركزية الصينية بأقليتي "الخوي" و"الإيغور"، والتي يبدو أنها قامت على دوافع عرقية وسياسية واقتصادية، وليس بسبب الدين فقط.

استعرض الفصل الخامس قضية الاستشراق الداخلي والعنصرية المعرفية، وكذلك مسألة التقليل من شأن الهويات الصينية المسلمة التي رسمها عرق الخان ليكوِّنُ بها صورةً عن الأقليات الصينية المسلمة. فصوَّرت أقلية "الإيغور" كمجتمع فلكلوري بدائي لا يمكن أن يتحضَّرَ ما لم يضف عليه طابع عرق "الخان"، ومن هنا تبرر الدولة إجراءاتها وحملاتها القمعية.

بعد ذلك جاء الفصل السادس، وهو الخاتمة، حيث عرضت نتائج الدراسة التي توصلت إليها الكاتبة حول الصين والإسلام ونشأة الهويات الصينية المسلمة. لقد حول الاستعمار الصين من بلد مليء بالتراث المعرفي الثقافي إلى بلد يفتقر لثقافة وهوية، وخاصة تلك التي ترتبط بالأقليات المسلمة. فقد استغلت الحكومة المركزية سلطتها لإيجاد قانون نموذجي للتعتيم على كل ما لا يخدم مصالحها، وهو ما بينته الدراسة من خلال هشاشة شعار "المساواة بين أفراد المجتمع" في النظام الشيوعي التي أقرها الدستور الصيني.

اعتمدت الكاتبة على العديد من المصادر المرجعية الحديثة المتنوعة والمتعددة للقيام بهذه الدراسة من كتب ومجلات وصحف ومواقع إلكترونية. ويبدو أن هذه الدراسة اعتمدت اعتمادًا كبيراً على التنظير، وكان حري بالكاتبة تقصي بعض الحقائق من خلال مقابلات عشوائية لشرائح مختلفة من الأقليات الصينية المسلمة والوقوف على أحوالهم لتقديم دراسة تجمع بين التنظير والتطبيق.

نبعت فكرة ترجمة هذا الكتاب لما يحتويه من معلومات قيمة. فواقع الهويات الصينية المسلمة يُعَدُّ من الموضوعات ذات الأهمية البالغة -كما ذكرت الكاتبة- إلا أن الدراسات في هذا المجال قليلة جداً ولم تبدأ في الظهور على الساحة البحثية إلا في تسعينيات القرن الماضي.

وليخرج هذا العمل بشكله الحالي، واجهتنا في ترجمة هذا الكتاب بعض الصعوبات. فبما أن النسخة الإسبانية لهذا الكتاب تدرس واقع الهويات الصينية المسلمة فقد استخدمت الكاتبة عدة لغات سواء في المتن أو الحاشية: الإيطالية والفرنسية واللاتينية والصينية والإنجليزية. وقد وردت الكثير من أسماء الأشخاص والمدن والأعمال الأدبية باللغة الصينية. ولكوننا غير مختصين باللغة قمنا بطلب العون من بعض المتخصصين في هذه اللغة الذين سهلوا علينا فهم ما أشكل في هذا الخصوص. وفي كثير من الأحيان اتبعنا ترجمة بعض المصطلحات لمقابلها الوظيفي في اللغة العربية لتسهيل فهمها على القارئ العربي.

والله ولي التوفيق،،،

المترجم

نبذة عن المؤلفة

حصلت **تشيارا أوليبيري** على شهادة البكالوريوس في اللغات الحديثة وآدابها وفي الدراسات العربية والإسلامية من جامعة غرناطة. كما حصلت أيضاً على شهادة الماجستير في دراسات آسيا الشرقية من نفس الجامعة وحصلت على منحة لتأهيل أعضاء هيئة التدريس الجامعيين في قسم التاريخ المعاصر ومعهد الهجرة في جامعة غرناطة لإعداد أطروحة الدكتوراه بعنوان "الهويات الصينية المسلمة: لمحات استقلالية لصراعات الإثنية الدينية".

مقدمة المؤلفة*

تتميز الصين في وقتنا الحاضر بكونها بلدًا يسكن فيه أكثر من ٢٠ مليون مواطن مسلم. ستركز دراستنا، بعد قيامنا بمراجعة وجيزة للحقب التاريخية للإسلام في الصين، على تحليل واقع المجتمعات المسلمة في الصين، حيث سنقوم بالتمييز بينها وفقاً للعرق والموقع الجغرافي. وكذلك سيتم التركيز على دراسة قضية أقليات *خوي خوي مينزو ويتي* (*Huíhui mínzú wènti*) المسلمة في الصين وعلى علاقاتها بعرق *الخان* (*han*) الذي يمثل الغالبية وعلاقتها بالحكومة، مؤكدين على أهمية هويتها الوطنية والدينية وتأثير هذه الأعراق في الحكومة وسياساتها والنظرة المشتركة للصراعات التي يشار إليها من أوروبا. وسنبدأ بتحليل الدراسات العامة المتعلقة بصياغة الخطابات والاستشراق مروراً *بالدراسات الثقافية والدراسات الفرعية* و*دراسات ما بعد الاستعمار*[1]، حتى نصل للدراسات الحديثة التي تتناول وجهات النظر الاستقلالية. وتهدف دراستنا، بتطبيق هذه النظريات على واقع الأقليات العرقية الصينية، وتحديداً

* أُدرجَ هذا الكتاب ضمن منحة تأهيل المعلمين الجامعيين، في فترة ٢٠١٤ م، المرجع تأهيل المعلمين الجامعيين ١٤/ ٠١٢٧٠.
ويندرج هذا الإصدار ضمن مشروع: "العمليات الناشئة والوكالات المشتركة: التطبيق العملي للبحث الاجتماعي التعاوني ومظاهر جديدة من الخضوع السياسي" فترة عام ٢٠١٤، مشاريع البحث والتطوير، التابعة لبرنامج الدولة لتعزيز البحث العلمي والتقني المتميز (المرجع CSO2014-56960-P).

(١) وكما ذكرت مارينا دي تشيارا (Marina de Chiara)، يجب الإشارة إلى أن "مصطلح ما بعد الاستعمار لا يشير إلى ما هو *بعد* كطبيعية زمنية، ويسلط الضوء على نهاية الاستعمار وبداية عملية الاستقلال، من ناحية تاريخية، بل في الواقع، يشير مصطلح ما بعد الاستعمار إلى تفسير الحضارة الحديثة والمعاصرة التي تراعي الوضع المركزي تماماً والغطاء العالمي لظاهرة الاستعمار، ابتداءً من نهاية عصر النهضة في القرن السادس عشر الميلادي وحتى وقتنا الحالي". كل الترجمات المذكورة في دراستنا هذه هي ترجمتنا.

على واقع قوميات الأقليات والهويات المسلمة المعترف بها من قبل الحكومة المركزية، إلى الوصول إلى توسيع نطاق بحث القضية بغرض الدخول في نقاش إثني سياسي حول العرق والقومية في الصين، إذ سنبين ما هي الطرائق والأيديولوجيات التي أسهمت في صياغة مفهوم الأمة الصينية، منوهين ومشيرين بذلك إلى الكيفية التي استطاعت بها هذه الطرائق والأيدولوجيات أن تساهم في تأسيس بعض العلاقات بين الأعراق المتوترة وغير المتكافئة وأيضاً وصف واقع الحالة السياسية لهذه الأقليات بتحليل دورها في المنظمات الحكومية. وتهدف دراستنا، من خلال هذا التحليل، إلى إبراز بعض العلاقات الصينية العابرة للحدود حتى وقتنا الراهن التي لم يتم دراستها في البانوراما البحثية، وكذلك تهدف دراستنا لتطبيق ما عرَّفه الكاتب والفيلسوف الإسباني ميجيل دي أونامونو (Unamuno) "بالحياة اليومية التي تصلح كخلفية دائمة للتاريخ المتغير والمنظور" على الواقع الصيني، وهي العلاقات الاجتماعية التي لم توصف في كتب التاريخ وكل ما يحدث وما لم يُوَضَّح بشكل كافٍ في الدراسات. وفي نفس الوقت، سنقوم بتحليل عملية صياغة الخطاب عن "الآخر المختلف" معرفياً -المجتمعات الإسلامية- من وجهة نظر الأمة الصينية، وهو "أسلوب فكري يقوم على التمييز الوجودي والمعرفي"[٢] وتحليل العلاقات بين السلطة ومعرفة ما ينجم عن ذلك.

وأخيراً، يهدف بحثنا، تماشياً مع الإطار النظري للدراسات المتعلقة بالاستقلال، لتقديم نظرة مفصلة عن الوضع الراهن للعلاقات بين السلطات المختلفة في الصين: الحكومة المركزية/ الغالبية *مقابل* الهويات العرقية/ الأقليات. وسنتطرق أيضاً للصراعات ذات الطابع الإثني السياسي، وتحديداً الصراعات ذات الطابع الديني وأُسُسها النظرية والآثار العملية والاجتماعية التي أسهمت بها. سَنُحَلِّلُ كل هذه المظاهر بهدف كشف ووصف وتبيان وجود ما يسمى بالعنصرية المعرفية التي تقوم من خلالها "بعض النخب التي تم تغريبها في العالم الثالث- النخب الإفريقية أو الآسيوية أو اللاتينية- بممارسات عنصرية ضد الجماعات العرقية/ العنصرية الدونية التي يمكن أن تُعَرِّف الدونية أو تشير إليها من خلال الانتماءات الدينية، أو العرقية أو الثقافية أو اللون، بالاعتماد على التاريخ المحلي/ الاستعماري"[٣].

---

(٢) Said, Edward W. (1990): Orientalismo. Madrid: Libertarias, p. 21.

(٣) Grosfoguel, Ramón (2011): "La descolonización del conocimiento: diálogo crítico entre la visión descolonial de Frants Fanon y la sociología descolonial de Boaventura de Sousa Santos", Web. 19 nov. 2014 <http://www.boaventuradesousasantos.pt/media/RAMON%20GROSFOGUEL%20SOBRE%20BOAVENTURA%20Y%20FANON.pdf>. p.102.

ويمكن إيجاز أهداف دراستنا على النحو التالي:

أ.وصف مشكلة البحث. سنقدم من خلالها عرضاً مفصلاً للدراسات السابقة وخلفية الإشكالية في بحثنا، وسنعرض موجزاً للإسهامات الأساسية التي أُنجِزت حتى وقتنا الحالي، إما في مجال دراسات الخطاب والثقافة والهوية وإما في مجال الدراسات المتعلقة بالاستقلال. وأخيراً، سنقوم بعرض المشاكل والفرضيات التي سيتناولها بحثنا.

ب.تعريف مجال الدراسات الثقافية المتعلقة بالاستقلال المطبَّقة على نطاق الأقليات العرقية في الصين. ولهذا الغرض سنقوم بعرض مقدمة في بحثنا بالاعتماد على المراجع المتعددة عن هذا المفهوم.

ت.نتائج البحث. تُعَدُّ نتائج بحثنا ثمرة بحث استمر لفترة طويلة، حيث لا تقوم أطروحاتنا على دراسات سابقة لمؤلفين بارزين فقط، بل نكشف أيضاً بهذا عن توجه يبدو أنه كان متجاهلاً في الساحة البحثية الحالية.

تقتصر مسارات البحث، في مرحلة إعداد المتخصصين في فقه اللغة الصينية أو الدراسات العربية، على المظاهر الأكثر ملاءمة لكل واحد من هذين الكيانين الثقافيين العظيمين، وسنكتفي بتناول أوجهها الأدبية والتاريخية والدينية والاجتماعية والأنثروبولوجية بالتفصيل. حققت الدراسات العربية في إسبانيا نجاحاً بارزاً وخاصة فيما يتعلق بالدراسات الأندلسية والقضية المغاربية، بينما نجد أن دراسة فقه اللغة الصينية بدأت بالظهور وفرضت نفسها في البانوراما البحثية، حيث تغيب، في مجال الدراسات الإسبانية، الدراسات التي ترسم خط توحيد بين هاتين الحضارتين العريقتين يربطهما من منظور تاريخي تحت قاسم مشترك: وهو الإسلام. لقد دفعنا الفضول، نظراً لتأهيلنا العلمي، ومنذ بداية دراستنا الجامعية، للاهتمام بالمظاهر المختلفة التي توضح "الحياة اليومية التي تَصْلُحُ كخلفية دائمة للتاريخ المتغيِّر والمنظور" وخاصةً تاريخ المجتمعات المسلمة في الصين، ولقد أثار اهتمامنا تحديداً ذلك المجال الذي يبدو حتى يومنا محاطاً بتفاسير غامضة، ولربما يمكن أن يُمَثِّلُ أرضيةً خصبةً في المستقبل. سوف نشير أيضاً للعلاقات والصراعات الإثني دينية والاجتماعية والسياسية التي تجمع بين هدف دراستنا، وهو المجتمعات المسلمة الصينية، وبين وجود الغالبية الشعبية الصينية وحكومتها المركزية.

سَمَحَ اتساع وتنوع جمهورية الصين إضافةً لتاريخها العريق، على امتداد قرون عديدة، بخلق تفاعل حيوي بين الشعوب المختلفة، إما لأسبابٍ تجاريةٍ أو سياسيةٍ أو ثقافيةٍ. وأيضاً لطالما كانت

الصين بلداً مستقبلاً للاتجاهات والتقاليد الدخيلة على ثقافتها، ومع ذلك فإن هذه التوجهات أصبحت جزءًا لا يتجزأ من التراث الثقافي لشعب الصين في وقت مبكر، وبهذا كُوِّنت هويات لا مثيل لها دمجت المدخلات الحديثة بالممارسات المحلية الخاصة والمتأصِّلة في الشعب الصيني.

نسعى في دراستنا هذه للاستفادة من الاهتمام الكبير الذي أثاره فينا هذا الموضوع، وسنستعين أيضاً بأبحاثنا السابقة التي ركزنا فيها، بشكل نقدي ومفصَّلٍ ومن منظورٍ تاريخيٍ، على تحليل السِّماتِ الخاصَّةِ بالمجتمعات الصينية المسلمة، بناءً على دراسة تاريخية لدخول الإسلام في الأراضي الصينية والتقاءِ الإسلامِ بموروثٍ ثقافيٍ بارزٍ، ولهذا الغرض سنعتمد على المراجع التي كتبها متخصصو فقه اللغة الصينية ومتخصصو الدراسات الإسلامية على حد سواء، ليس فقط بغرض تحديد بعض خصائص الإسلام في الصين، بل أيضاً لتبيانِ الخلافاتِ الموجودةِ في نفس الوقت بين ممارسات العرقيات المسلمة المتنوِّعة والعلاقات والنزاعات الاجتماعية المحتملة التي تنجم بين عرق *الخان* الذي يمثل الغالبية والأعراق المسلمة، ولوضع نظرية "*العملية تفاوض مع الصينيين قد ينتج عنها نهوض الإسلام في الصين بمفهومٍ وهويةٍ صينيةٍ ومجتمعٍ صينيٍ مسلمٍ يرى أن تقاليده صينية، رغم كونها تحتوي على جذور دين أصله «أجنبي» عن ثقافتهم*"(٤).

وانطلاقاً من هذا الأساس، وبالاستناد على معرفتنا المسبقة التي اكتسبناها طيلة دراستنا الجامعية حول هذا الموضوع سنعمل على توسيع بحثنا والتعَمُّقِ في كل ما هو جديدٍ في الدراسات المتعلقة بالاستقلال المُطَبَّقَةِ على واقع الصين، وخاصة على ما يهمنا أكثر، وهو واقع الهويات الصينية المسلمة. ستتوسع أيضاً في العمل المرجعي والبحثي حيث سنقارنها بآراء الخبراء الدوليين المُتَعَدِّدَةِ حول الموضوع لتعكس هذه الدراسة تعدد الآراء التي ستسهم، وفقاً لتوجهاتنا، في إيجاد نتائج وفرضيات ختامية أكثر حداثة وفي سياقاتها الممكنة.

بعد قراءة متأنية للمراجع التي تناولت موضوع الهويات الصينية المسلمة، التي تُعْنَى بالتحليل التاريخي والعرقي والسياسي، ستتضح لنا كل المعلومات التي تحتوي عليها، ليس فقط تلك المعلومات التي ترتبط بالعرقيات المتعددة، بل أيضاً، ومما لا يدع مجالاً للشك، ستفتح أمامنا حقلاً لم يُستَغل بشكل جيد وغير معروف بما فيه الكفاية حول الصراعات الإثني دينية والاجتماعية والسياسية التي دارت في

(٤) Ben-dor Benite (2010): "Follow the White camel: Islam in China to 1800". The new Cambridge History of Islam Vol. 3. Cambridge: University Press, p. 410.

الحقب الأخيرة بين كل من الأقليات المسلمة الصينية والحكومة المركزية الممثلة في عرق *الخان* الذي يمثل الغالبية. وسنطبق، على هذا النحو، الدراسات المتعلقة بالاستقلال التي عُرِفت على نطاق واسع ضمن الأبحاث التي تُعْنَى بأمريكا اللاتينية حيث سنطبقها على الواقع الخاص بقومية أقلية *الخوي* (Huízú) المسلمة وعلاقتها بالسلطة المركزية الصينية، مقارنين ذلك بقومية الأقلية الإسلامية الصينية، الأكثر تعقيداً وإشكالاً، وهي قومية *الإيغور وي ويرزو* (*uigur Wéieú ěrzú*).

وعلى هذا المنوال، إن قمنا بترك أبوابٍ مفتوحة لكل نوع من الاعتبارات حول هذه المسألة ولأبحاث مستقبلية وأكثر عمقاً نستطيع أن نعد هذا البحث إسهاماً جديداً في مجال فقه اللغة الصينية والدراسات العربية الإسبانية، لأن الدراسات المتعلقة بالثقافة الصينية الإسلامية وكذلك تطور الهوية الخاصة بالمجتمعات المسلمة بالصين، حسب علمنا، هي قليلة جداً في شبه الجزيرة الإيبيرية. وفي إطار الدراسات المتعلقة بالاستقلال وتطبيقها على واقع الأقليات العرقية الصينية، وتحديداً على الأقليات المسلمة، يبدو لنا أن هذه الدراسات ما هي إلا إسهامات جديدة ومجال بحث مفتوح مازال حتى وقتنا الراهن غير مسبور.

تجدر الإشارة إلى أننا قد اخترنا في هذه الدراسة التمثيل الصوتي للأبجدية الصينية المعروف باسم *خانيو بينين* (Hànyǔ Pīnyīn) بينما تم اختيار التمثيل الكتابي الأكثر شيوعاً للمستعربين الإسبان والمستخدم آنذاك في مجلة *الأندلس* (al-Ándalus).

بحث القضية

يبدو من المناسب، قبل البدء في دراستنا، ونظراً لصعوبة الموضوع وقِلَّة الاهتمام الذي حظي به حتى وقتنا الراهن في البانوراما البحثية، أن نستقصي بشكل موجز عَمَّا هي المصادر التي اِستُخْدِمَتْ وكيف تمكنا من ربط المواد المختلفة وكيف تم العمل بها ونحن واضعين صوب أعيينا نتائج بحثنا.

يدور بحثنا، بشكل عام، حول محورين يبدوان متباعدين جداً: ١) الهويات الصينية المسلمة و٢) صياغة الخطابات. ولهذا الأمر، سعينا أولاً إلى تحديد مصادر الدراسة والأبحاث المهمة التي تناولت تاريخ المجتمعات المسلمة في الصين لكي نقترب من الموضوع، إلَّا أن الدراسات ذات الطابع العام التي تناولت هذا الموضوع قليلة رغم كونها دقيقة جداً. ظهرت قرابة تسعينيات القرن الماضي، وتحديداً منذ بداية الألفية الجديدة، دراسات اهتمت ولأول مرة بشكل مُفَصَّلٍ ونوعيٍّ بموضوع الهويات المسلمة في الصين. إن

الأمريكي درو سي. غلادني (١٩٩٦) (Dru C. Gladney)، المختص في علم الأنثروبولوجيا الاجتماعية، هو مؤلف كتاب *المسلمون الصينيون: القومية العرقية في جمهورية الصين الشعبية* (Muslim Chinese: Ethinc Nationalims in the People's Republic) الذي يُعَدّ نقطة انطلاق لأبحاث مستقبلية لكثير من الباحثين في هذا المجال. يلفت درو سي. غلادني الانتباه في هذا الكتاب وكذلك أيضاً في أعمال مستقبلية أخرى لموضوعات النعرات القومية المتنازعة (الصين– الهويات الإسلامية)، التي تُمَثِّلُ رُكناً أساسياً لموضوع بحثنا. وكذلك قام المؤرخ رفائيل إسرائيلي (Raphael Israeli)، المتخصص في تاريخ الإسلام وتاريخ الصين والمرجع الأساسي في مجال الدراسات الصينية الإسلامية، بتوفير قاعدة مُفَصَّلَة لمحاكاة موضوع بحثنا الأول. ومن منظور شرعي أصيل، تعدّ إسهامات زفي بن دور بينيتي (Zvi Ben-Dor Benite) جوهرية، حيث إن بحثه كان أساساً في تكوين فكرة عن "الهوية الصينية المسلمة" إذ يُغَطِّي هذا البحث مجالات متعددة: تاريخية وإنسانية وشرعية وسياسية أيضاً. وكذلك يستحق الإشادة البحث الإنساني الذي قامت به إليزابيث أللس (Élisabeth Allès) والذي يُقَدِّمُ عمقاً مهماً حول مجتمع *الخوي*، وتحديداً الذي يسكن منطقة الخه نان (Henan)، إضافة للرؤية المشتركة المُنَظَّمَة بشكلٍ جيدٍ. وفيما يتعلق بالأبحاث التي تُعْنَى بقومية *الإيغور*، يجدر بنا ذكر بحث جوناثان ليبمان (١٩٩٧) (Jonathan Lipman)، *الغرباء المألوفون: تاريخ المسلمين في شمال غرب الصين* (Familiar Strangers: a History of Muslims in Northwest China)، وكذلك أيضاً بحث فريدريك ستار (٢٠٠٤) (Fredrik Starr)، بعنوان *تشينجيانغ. حدود الصين المسلمة* (Xinjiang. China's Muslim Borderland) الذي يحتوي على جوانب متعددة ومرموقة عن قومية الإيغور. ولحسن الحظ، تزايدت في الأعوام الأخيرة الدراسات المتعلقة بقوميات الأقلية المسلمة في الصين، وأتاحت لنا مجالاً في إثراء معرفتنا الأساسية حول هذا الأمر؛ لتتمكن من تطبيق ما نعده الإطار النظري لبحثنا: صياغة الخطاب، والفكر الاستقلالي بعد الاستعمار الغربي.

وللتمكن من الوصول لهذا المجال، نرى ضرورة مراجعة هذه النظريات منذ نشأتها والتحقق منها. لذا، أصبح ميشيل فوكو (Michel Foucault) هو "المؤلف الرئيس" خلال أشهر تحديث مراجعنا، إضافةً لقراءاتٍ متعلقة بمفاهيم "العِرْق" و"الثقافة" و"الهوية" و"المجتمع"، لمن يعدّ أن قراءة أبحاث أنطونيو غرامشي ((٢٠١١) Antonio Gramisci) وماكس ويبر (٢٠١٢) (Max Weber) وكلود ليفي ستروس (٢٠١٢) (Claude Lévi-Struss) وفرانز فانون (٢٠١٤) Frantz

Fanon) وبينيديكت أندرِسون (1993) (Benedict Anderson) وأمين معلوف (٢٠٠٩) هي المراجع النظرية الأساسية والأيدولوجية. وتماشياً مع فرضيات بحثنا، ارتأينا وجوب قراءة كتاب إدوارد وديع سعيد (Edward W. Said) /*الاستشراق* (٢٠٠٩) (Orientalismo) حيث ساعدنا كثيراً كنقطة انطلاق لنتائج بحثنا؛ رغم أن به ثغرات عدة.

توصلنا، أخيراً، لدراسات متعلقة بما يسمى "المنعطف الاستقلالي بعد الاستعمار الغربي" (giro decolonial)، والذي نَظَّرَ له فريق أكاديمي من أمريكا اللاتينية مِمَّنْ أسسوا "فريق الحداثة/ الاستعمار" (Grupo Modernidad/Colonialidad)، بهدف الاستكشاف والإشارة للآليات الاستعمارية- حتى في عهد ما بعد الاستعمار- للسلطة، حيث إن نظرياتهم تُطَبَّقُ بشكل أساسي على بلدان أمريكا اللاتينية، وكان أكبر تحدٍّ قد واجهنا تحديداً هو تطبيقها على الصين، وخاصة على الآليات التي تحكم العلاقات المتبادلة بين الحكومة المركزية وقوميات الأقليات المسلمة.

ودون الوقوف عند مسائل متعلقة بالمراجع البحتة، سننتقل لشرح أدلتنا.

المحتويات

مقدمة المترجم ..... هـ

نبذة عن المؤلفة ..... ك

مقدمة المؤلفة ..... م

مدخل. من الاستشراق إلى الفكر المتعلق بالاستقلال ١

الإسلام في الصين: تاريخ ونشأة الهوية ٩

الهوية الوطنية والإثنية. المسلمون في الصين ١٩

العلاقات المتبادلة في الصين ٢٥

استعمار الصين. "الاستشراق" و"العنصرية المعرفية" والتقليل من شأن الهويات المسلمة. ٤٥

الخاتمة ٥٣

المراجع ٥٩

ثبت المصطلحات ٦٣

أولاً: عربي- إسباني ٦٣

ثانياً: إسباني- عربي ٧٢

ثالثاً: ثبت المصطلحات باللغة الصينية وتمثيلها الصوتي باللغة العربية ٨٠

كشاف الموضوعات ٨٣